وَبجانب خَباب كَان الأخُ الذِي كُلَّما ذَكرتُه بَكى قَلبي، إنَّه الشَّهيدُ -بإذن الله- أَبو مَسلمة[1]، إنَّه العَامِل الذي لَا يَكلُّ وَلا يَعتَذِرُ، لَو كَلَّفه الإخوة بِحملِ جبلٍ لَفتَّته وَحَمَله، الشَّابُ الخَلوقُ الهُمام، كُنتُ أتحَيَّنُ الفُرصة لِلجُلوسِ مَعَه، كَان يَتحدَّثُ عَن العَمَل بَينما كُنَّا نَنشَغِلُ بالجَدل، كَانَ يَنشَغِلُ بالسُّكوت بَينَما كُنا نُكثر الكَلام، كَم كُنتُ أحبُّه، وكُنتُ أقولُ: هُوَ قُدوةٌ لِشبابِ الجِيل، لَكنَّه رَحَلَ وَلم نَعُد نَراه، وَلا شَكَّ أَنَّ مَا عِندَ اللهِ خَيرٌ مِمَّا عِندَنا، فَلا تُنسِني يَا أبا مسلمة، فَأنتَ عِندي مِصباحٌ مِن مَصابيحِ الطَّريق، وانتُشِلَ مَعهُم الشَّهيد صَاحِبُ الخُلق واللُّطفِ (إبراهيم)، ذَاك الهَادِئُ الذِي سَبَقَ أَصحابَ الضَّجيجِ والصُّراخ، فَرحماتُ اللهِ عَليه.

وَمَعَهُم أَيضاً الشهيدُ (ياسر)، المِقدامُ الذِي كَان مُدرسّاً في المَدرسة، لَكنَّه لَم يَترُك الثُّغورَ، وَكَانَ أَسَداً في الاشتِبَاكاتِ، فَكَان يَصدَحُ بالتكبير، وَلَهُ جُرأةٌ وَشجاعةٌ لَم نَتَوَقَّعهَا مِنه، فَقَدَّسَ اللهُ رُوحه، وَوَسَّعَ مُدخَله، وآخرُهم الشَّهيد (بِلال)، الذِي كَان يَقومُ عَلى خِدمة إخوانه، وَكَان كالأمِّ الحَنون لهم، كُلُّ هَؤلاء لَيس لَهم مَلامحٌ ولا صفاتٌ، بِالكادِ تَعَرَّفنا عَليهم، لَكنْ الحَمدُ لله الذِي جَعَل الحَياة بالأرواحِ لا بالأبدانِ، فَمَن صَانَ رُوحَه عَن الدَّنايا، صَان اللهُ رُوحه في جَوفِ طَيرٍ خُضرٍ تَسرَحُ في الجَنَّةِ حَيثَ شَاءت.

(1) ذكرتُ له موقفاً سابقاً في فصل (الأوفياء فمنهم من قضى نحبه).